أبو سالم العياشي المغربي (ت 1090هـ) وجهوده في علم القراءات القرآنية

الدكتور خليل محاح
باحث في العلوم الشرعية وقضايا التدريس
المملكة المغربية

الملخص:

يتناول هذا البحث إبراز جهود العلامة أبي سالم العياشي المغربي (ت 1090هـ) في علم القراءات القرآنية، والكشف عن جانب علمي مغمور في ترجمته، رغم مكانته البارزة في علوم الرواية والرحلة والتصوف. ويعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تتبع معطيات الدرس القرائي في حياة أبي سالم، والمنهج التحليلي في دراسة إسهاماته في الإقراء أخذاً وعطاءً، وتأثير الرحلة العلمية في تكوينه القرائي. وقد تناول البحث المعالم القرائية في شخصيته، وصلته بالرحلات العلمية للمغاربة، ودوره في نقل القراءات القرآنية وتدريسها بالمغرب والمشرق خلال القرن الحادي عشر الهجري. كما وقف على مظاهر إسهامه في التدريس والإجازة والرواية، واستثمار آثاره في الدرس القرائي المعاصر. ويخلص البحث إلى أن أبا سالم العياشي أسهم إسهاماً معتبراً في ترسيخ الدرس القرائي بالمغرب، وأن جهوده العلمية تمثل حلقة واصلة في تاريخ القراءات القرآنية بالغرب الإسلامي، تستدعي مزيداً من العناية والدراسة.

الكلمات المفتاحية: أبو سالم العياشي المغربي، علم القراءات القرآنية بالمغرب، الدرس القرائي في القرن الحادي عشر الهجري، الرحلة العلمية والقراءات، الإقراء والرواية في الغرب الإسلامي

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله لكافة الناس بشيرا ونذيرا، وتلقى القرآن من لدن الحكيم العليم؛ فقرأه وأقرأه؛ ليضل ساريا في هذه الأمة المحمدية المباركة، ويسطع برهانه مع تقدم الزمان وتطوره، إلى انقطاع أصل التكليف، وبعد؛

فإن مغرب القرن الحادي عشر للهجرة قد شهد نهضة علمية كبيرة؛ يشهد لها المؤلفات العلمية وجوانب النبوغ للأعلام التي أنارت سماء العلوم والمعارف في تلك الحقبة؛ وقد كان من نتاج هذه النهضة المباركة أن ازدهرت بمغرب القرن الحادي عشر للهجرة مجموعة من العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم؛ ومن أبرزها علم جليل قائم على نمط التلقي والرواية؛ وهو علم القراءات القرآنية.

ومن الأعلام الكبار الذين عايشوا هذه الفترة من عمر هذه الحضارة المغربية بماضيها التليد، وحاضرها المشرق، ومستقبلها المأمول المغدق بالعطاء؛ سيما في درب الدراسات الإسلامية الممتدة عبر الزمان والمكان، والخالدة بخلود رسالة الوحي، **نجد العلم الجليل أبا سالم العياشي (ت 1090هـ)**، والذي يعتبر من كبار علماء التزكية والرواية والدراية الذين شرفت بهم المملكة المغربية خلال القرن الحادي عشر الهجري، والذين رغم قصر عمرهم ألفوا كثيرا؛ فانتفع بكتبهم الخلائق، وقد اشتهر ذكره وذاع صيته، خاصة في مجال الحديث الشريف والسيرة والفقه التصوف، والشعر والأدب، والرحلة... وقلَّ من العلماء من يجمع بين هذه الفنون كلها في الآن نفسه، ولا جرم في ذلك إذا علمنا أنه سليل زاوية عريقة من الزوايا المغربية الفاعلة في وقتها؛ وهي الزاوية الحمزية نواحي الريش[1]، والتي عرفت بالعلم والجهاد، والتربية، ونفع المجتمع المغربي روحيا وعلميا واجتماعيا.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه **يقف عند جانب مغمور من شخصية هذا العلم الجليل؛ ليحاول سد هذا الخصاص في ترجمته من خلال جانب إسهامه في الصرح الحضاري المغربي من نافذة الدرس الإقرائي، ويركز على مقاربة هذا الموضوع وفق بناء نسقي منطلق بداية من مركزية القرآن الكريم وعلومه في حياة أبي سالم العياشي ورحلاته؛ ليقدم لنا نهاية كنتاج صورة عن إسهاماته، ومتخذا في ذلك إطارا ناظما لمعطياته؛ وهو الدرس الإقرائي المغربي عند أبي سالم أخذا وعطاء، تأثيرا وتأثرا، ومحاولة التجسير في هذا البحث بينه وبين الرحلة العلمية**؛ سيما وأن الرجل كان رحالة، ودوما ما كان يجيب غيره في كتاباته ومراسلاته بأنه مشغول البال؛ لكونه في سفر، أو على قدم سفر.

وتأسيسا على ما سبق؛ **فإن البحث من حيث المعنى أتى بجديد يسهم في إغناء ترجمة علم الموضوع وسد خصاصها، ومن حيث المبنى فإنه سعى لجمع وضم كل شريد له صلة بالدرس الإقرائي عند أبي سالم العياشي.**

ويبرز إشكال البحث في كونه **يقدم أجوبة عن عدد من الأسئلة التي تلامس أسباب قلة العناية بالجانب القرائي لهذا العلم الجليل رغم أنه كان قمة في علوم الرواية في زمانه؛ أهو عائد لقلة إسهاماته؟ أم لضعف التراجم المقدمة له لحد الآن؟ أم لطغيان جانب الرحلة والتصوف والحديث على سيرته المشتهرة؟ أم لكون أعماله وإسهاماته في هذا الباب لا تزال في عداد المخطوط؟**

كما أن هذا البحث يهدف من خلال معطياته إلى:

- **بيان الاهتمام بعلم القراءات في شخصية هذا العلم الجليل، وجرد وحصر إسهاماته فيه تدريسا وتأليفا ورواية.**
- **الكشف عن وقفات ومحطات قرائية من دروسه ورحلاته ومواقفه.**

[1] تقع معالم وآثار هذه الزاوية العريقة حاليا وسط جبال الأطلس الكبير بسفح جبل العياشي، قرب منطقة النزالة، بجانب الطريق الوطنية المؤدية إلى مدينة الريش، وتضم معالم من آثار أبي سالم العياشي، وداره، والمسجد، وخزانة للمخطوطات، ويشرف عليها سليمان الحمزاوي وابنه محمد.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- **استنهاض الهمم للعناية بتراثه، والبحث عن أعماله غير المحققة في الباب.**
- **الاستفادة من منهجه في الإقراء ومعالمه في الدرس القرائي والإقرائي المعاصر.**

وينتخب البحث في مرحلة جمع المعطيات الخادمة له **المنهج الاستقرائي القائم على جرد وتتبع إسهامات أبي سالم العياشي في باب الدرس القرآني في عهده قراءة وإقراء، وفي مرحلة الدراسة للنصوص المنهج التحليلي لكشف الإسهام الإقرائي في مسار الرجل وسيرته.**

ولتحقيق الأهداف المرجوة آثرت تقسيم هذا البحث على مبحثين؛ **وقفت في الأول عند المعالم القرائية في شخصية هذا العلم الجليل، بينما المبحث الثاني خصصته لرصد إسهامات أبي سالم العياشي في الدرس الإقرائي إبان القرن الحادي عشر للهجرة، وختمت البحث بالنتائج والتوصيات البحثية، وفهرس للمصادر والمراجع.**

وقبل ذلك وضعت مدخلا تمهيديا في التعريف بعلم البحث، وملامح العصر الذي عاش فيه.

مدخل تمهيدي في التعريف بأبي سالم العياشي وملامح عصره

فرضت بنية الموضوع أن نخصص هذا المدخل للكلام عن نبذة موجزة من حياة علم البحث، وبعضا من ملامح عصره الرئيسة؛ سيما ما يرتبط بوضع علوم القرآن في عهده؛ لما لذلك من اتصال وثيق بمعطيات البحث.

وتشير – في هذا السياق–المصادر المهتمة بتاريخ المغرب إلى أنه خلال هذه المرحلة عرفت الحياة السياسية إبان القرن الهجري الحادي عشر عددا من التحولات من أبرزها الصراعات السياسية حول السلطة.

فكريا شهد المغرب خلال القرن الحادي عشر الهجري نهضة علمية كبيرة اعتبرت امتدادا لما عرفته القرون السابقة من ازدهار علمي وحضاري إبان العهد المرابطي والموحدي والمريني، وكان من حظ أبي سالم أن عرف عصره ظهور أعلام كبار من رجال الحديث والفقه والتربية والمجاهدة وغيرها من الفنون؛ فنجد أن بعضهم من شيوخه، وآخرين من شيوخ شيوخه، وآخرين من أقرانه وتلامذته.

ومن مظاهر عصر أبي سالم العلمية تطور التأليف والنشر في تراجم الصوفية، ومصنفات الحديث النبوي والمؤلفات الفقهية المالكية، والشروح والحواشي على المصنفات نظما ونثرا، والتأليف في النوازل الفقهية، والفرائض والشعر، كما تطورت العناية بالرحلة والتاريخ والطب واللغة والوثائق، كما برزت إشكالات تدريس المختصرات المالكية التعليمية؛ فدارت حوارات ومراسلات بين أعلام ذلك العصر حول هذا الموضوع، وفي هذا العصر –والذي يعد عصر فقهاء كبار – ظهرت فيه العديد من المؤلفات المفيدة للمكتبة الاسلامية، إلا أن ظاهرة ميزته وهي ظاهرة التصدي للفتوى من خلال وجود عدد من كتب النوازل الفقهية، غير أن من أشهر أعلام هذا العصر وأقربهم إلى أبي سالم، وأشدهم ملازمة له تأثيرا وتأثرا نجد أبا عمرو عثمان بن علي اليوسي، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، ومن ألمع أعلام هذا العصر أيضا يبرز أحد أساطين المذهب المالكي بالغرب الإسلامي العلامة عبد الواحد بن عاشر(ت 1040هـ) صاحب المنظومة الشهيرة "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، وتلميذه أبو عبد الله محمد ميارة الفاسي(ت 1072هـ) صاحب الشروحات والتصانيف الجمة النافعة في مذهب مالك، وهو من أبرز شيوخ أبي سالم العياشي الذين لهم الأثر البالغ في فكره.

ومن أبرز سمات عصر أبي سالم أيضا تعاظم دور الزوايا الصوفي، وذلك من خلال تعدد الأدوار التي تقوم بها الزوايا، ومنها الزاوية العياشية والتي نشأ أبو سالم في أحضانها، وشكلت حاضنة للعلم والفقه والأدب خلال القرن الحادي عشر للهجرة.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

في ظل هذه الظروف نشأ أبو سالم وسط أسرة علمية كان لها الأثر الكبير والحضور الإيجابي بالمنطقة التي تحتضن زاويتها، ويضاف إلى ذلك تأثره بأشياخه الذين أخذ عنهم بالمغرب والمشرق، أو الذين لقيهم في رحلاته وزارهم وتبادل معهم العلوم والمعارف؛ "**فما من شك أن الزاوية أسهمت بشكل كبير في تكوين أبي سالم في مرحلة الطلب، وأبانت له معالم الطريق؛ فابن الزاوية العياشية سليل أسرة محبة للعلم وأهله، تبذل كافة الجهود في جمع كتب العلم، واستنساخها نشرا للفكر والمعرفة، وخدمة لعلوم الشرع**".[1]

وبخصوص نظرة أبي سالم للتصوف يمكن القول: إنه نظر إلى المنظومة الصوفية بانها سبيل ومنهج حياة واستقامة؛ فلم يكن مجرد داع لمبادئها فحسب؛ بل كان مستمسكا بها في نفسه قبل غيره؛ وكان من نتاج هذه النظرة الفريدة إلى منظومة التصوف أن وقف أبو سالم عند نقاش واقع التدين في عهده، وانتقد الفصام الكبير بين الدين كمنظومة من الأحكام والتشريعات والواقع العملي لعموم المكلفين، وكان له الأثر البالغ في بناء منظومة التصوف في عهده، والتي غدت بعد آصرة من أواصر المجتمع؛ بل ارتقت إلى ثابت من ثوابت الأمة المغربية، أسهم الفقهاء والصوفية بشكل كبير في ترسيخها.

عقديا اشتهر عهد أبي سالم ببروز فئة من المتكلمين في قضايا الاعتقاد، والذين ألزموا العوام بالنظر والاستدلال في مسائل العقائد مخالفين بذلك منهج السادة الأشاعرة القائم على الوسطية بين المنهج العقلاني الاعتزالي والمنهج النصي المتشدد، وعدم إلجام العوام بالمعاني العقدية العسيرة على عقولهم، وخلافا لذلك؛ فقد جزمت فئة من هؤلاء المتكلمين في العقائد في عهده بكفر من آمن بالله وجهل ما له من الصفات؛ فأنكر أبو سالم عليهم ذلك، وألف كتابه في الرد عليهم" **الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف فيمن أقر بوحدانية الله وجهل ما له من الأوصاف**"[2].

في ظل هذه الظروف والمعطيات ولد أبو سالم العياشي سنة 1037 هـ، كما نقله الكتاني من خط أبي سالم نفسه، جاء في فهرس الفهارس" **لأن ولادته كانت على ما قيده بخطه سنة 1037 هـ** "؛ فهو إذن الفقيه المالكي الصوفي، والشاعر الأديب، الرحالة المشهور، صاحب الرحلة المعنونة بماء الموائد، وقد ترجم له صاحب صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر قائلا: "**هو الشيخ الإمام، الرحالة الأديب الماهر، الحافظ الحجة، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، أحد من أحيا الله بهم طريقة الرواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل**".

تتلمذ أبو سالم العياشي على يد شيوخ كثر تصعب الإحاطة بهم جميعا بسبب الرحلات التي جعلته يلتقي بشيوخ في أقطار عدة؛ يقول في اقتفاء الأثر: " ولنبدأ بذكر من لقيت من المشايخ، وذكر مشايخهم ممن أخذت عنهم رواية أو دراية، أو هما معا، أو تلقنت منه وذكر مسموعاتي عليهم، ثم نذكر بعد ذلك ما تيسر من المرويات بأسانيدها، لأن استيفاء ما حصل لنا من المرويات، وذكر أسانيد سائر الكتب التي رويناها يستدعي سفرا أو أزيد "[3].

يظهر إذن أننا سنركز على من كان لهم الأثر البالغ في حياته العلمية ومنهم:

– والده محمد بن أبي بكر العياشي، أكثر الشيوخ أثرا على أبي سالم (ت 1067 هـ)، مؤسس الزاوية العياشية، قال عنه أبو سالم: " **أولهم وأولاهم بالتقديم والدي – أسكنه الله فسيح جنته وتغمدنا وإياه برحمته –ربابي فأحسن تربيتي، وغذاني بنفائس علومه فأحسن تغذيتي، قرأت عليه القرآن العظيم غير ما مرة، وسمعت عليه وظيفة الشيخ زروق من لفظه، ولقنني دعاء التوبة**

[1] – أنظر: بيان الدكتورة نفيسة الذهبي في اقتفاء الأثر لدور الزاوية في تكوين شخصية أبي سالم العياشي العلمية، منشورات كلية الآداب الرباط، ص. ص 26.

[2] – هذا الكتاب من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب عام 2015م بتحقيق عبد العظيم صغيري.

[3] – أنظر: اقتفاء الأثر، مرجع سابق، ص 102

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

للشاذلي، ولم يزل يتعاهدني بوصاياه النافعة، ومواعظه البالغة، وكتب لي من ذلك ما أرجو البركة، وحصول البغية في التمسك به –إن شاء الله–" [1] .

– شيخ الجماعة بفاس مُحشي الجامع الصحيح للبخاري[2]، عبد القادر بن علي الفاسي (ت 1091 هـ)، قال عنه أبو سالم العياشي في اقتفاء الأثر: " **والثاني شيخنا المحقق، العارف المدقق، أَوْرَعُ أهل زمانه، وأثبت أهل أوانه، شيخ الاسلام، وحسنة الليالي والأيام، مذكر الغافل والناسي، سيدي عبد القادر بن علي الفاسي – متعنا الله بحياته ونفعنا ببركاته – أخذت عنه علوما جمة، وسمعت عنه تآليف كثيرة، كالفقه والحديث والتفسير والنحو والبيان والأصلين والتصوف** " [3].

– الشيخ محمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت 1072 هـ)، قال عنه أبو سالم: " **العلامة الدراك الفهامة، الفقيه المتفنن ...أجاز لي سائر مروياته وكتب لي ذلك بخطه، سمعت عليه جملة من كتب الفقه، وسمعت من لفظه شرحه الصغير على المرشد المعين** "[4].

ولأبي سالم أسانيد في الحديث والفقه والتصوف من خلال أسانيده العالية في الصحبة والاقتداء، وفي الكتب المشهورة ذكرها في فهرسته اقتفاء الأثر[5]، وأفردها بالتأليف، يقول: " **فلما اجتمع عندي من إجازات المشايخ على الاستدعاءات المذكورات ما رأيته يمكن أن يكون تأليفا، بادرت إلى جمع ذلك في هذه الأوراق خشية الافتراق** "[6].

وله أيضا تصانيف عدة اشتهرت بتنوع المشارب والتخصصات؛ ومنها الرحلة العياشية الشهيرة، وكتاب الحكم بالعدل والإنصاف السابق الذكر، وكتاب إظهار المنة في المبشرين بالجنة [7]، وغيرها.

كما كان لأبي سالم إسهامات عدة في التصوف، والكتابة عن الرحلة، والأشعار والأدب، واللغة والنوازل والفقه المالكي، غير أن الذي يهمنا ههنا أن نقف مع إسهاماته في الدرس القرائي، وقد توفي –رحمه الله تعالى–في 10 ذي القعدة عام 1090هـ/13 دجنبر عام 1679م[8].

---

[1] – أنظر: اقتفاء الأثر مرجع سابق، النص المحقق ص 103 .

[2] مخطوط يوجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم: 2150 د. وأخرى بمؤسسة آل سعود بالدار البيضاء تحت رقم 440.

[3] – النص المحقق من اقتفاء الأثر مرجع سابق ص 110 .

[4] – أنظر: ص114 من اقتفاء الأثر مرجع سابق .

[5] – أنظر في هذا السياق النص المحقق لاقتفاء الأثر مرجع سابق ص 142 وما بعدها وأسماء شيوخ أبي سالم الواردة في كتاب " أبوسالم العياشي المتصوف الأديب "ص 88 ومابعدها وهو من منشورات وزارة الأوقاف عام 1998م.وكذلك نصوص لإجازاته في دراسة مؤلفه المحقق لتنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية تحقيق محمد بنعزوز، منشورات دار ابن حزم، ص 70 وما بعدها.

[6] – أنظر: إتحاف الأخلاء بأسانيد المشايخ الأجلاء، تأليف أبي سالم العياشي تقديم وتحقيق محمد الزاهي دار الغرب الإسلامي النص المحقق، ص 87.

[7] قمت بتحقيق ودراسة هذا الكتاب، وهو من منشورات الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى، جهة الدار البيضاء سطات، عام 2024م.

[8] – إتحاف الأخلاء بمسانيد المشايخ الأجلاء، ص 39.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المبحث الأول: أبو سالم العياشي ومعالم الشخصية القرائية

يشكل هذا المبحث اللبة الأولى في البحث، ويؤسس للمعطيات التي ستأتي بعده، وذلك من خلال حديثه عن معالم الشخصية القرآنية عند أبي سالم العياشي، بعيدا عما هو موجود في تراجمه المتوافرة، باعتبار ذلك لا يحقق البغية من البحث وهي التعريف بالجهد القرائي للرجل، نقف مع هذه المعطيات وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: الرحلات العلمية للمغاربة وصلتها بالقراءات

شكلت الرحلات العلمية مرتكزا في حياة ابي سالم العياشي، يقول في فهرسته اقتفاء الأثر: "**فلما من الله تعالى بالرحلة إلى البلاد المشرقية أولا، ولعنان العزم نحو الرواية ثانيا، تتبعت ذلك في مظانه وعند أربابه، ورميت – والحمد لله– بسهم مصيب مع أصحابه؛ فشكرت الله على ما أولى، مع اعترافي بأن الاشتغال بالدراية أولى، واغتنمت الفرصة في اتصال الحبل بالنبي عليه السلام، والانتهاء إلى مشايخ الإسلام.**"[1]

فهذه الرحلة المشار إليها تشكل نموذجا للتواصل الحضاري والعلمي بين المغرب والمشرق، "**وإذا تساءلنا عن حصيلة هذه التجربة نجدها لا تخلو من فوائد، فأبو سالم يُكون صداقات، ويبدأ علاقاته الثقافية مع بعض الاخوان عن طريق المكاتبة** "[2]، ولا تخلو جميع كتبه أيضا من إشارات حول الرحلات، ووصف مشاهد ومواقف منها، وطرائف ومناظرات مع عدد من الفقهاء.

وقد لعبت هذه الرحلة بمختلف أنواعها ومراحلها دورا كبيرا في بلورة شخصية أبي سالم في باب علوم القرآن خاصة لارتباطها بالموضوع؛ حيث نجد استفادته من آثار الشيوخ البارزين في المجال من أمثال الإمام السيوطي (ت 911هـ)؛ فنجد أبا سالم العياشي يصفه في أحايين عديدة بأنه من شيوخ شيوخه.

وهذه الرحلات لهؤلاء الأعلام المغاربة ارتبطت بشكل كبير بعلوم القرآن؛ خاصة علم القراءات لكون الدافع الأبرز لها هو طلب العلو في الإسناد، وحينما نتأمل المعطيات المرتبطة بهذه الرحلات وما حكاه أعلامها في تصانيفهم في الرحلة وبرامجهم وفهارسهم العلمية من أسانيد وإجازات في المجال المتصل بالقرآن الكريم وعلومه؛ نقف مع حقيقة مفادها أن القراءات القرآنية كعلم متصل باللقيا بالشيوخ – الذي هو أحد دوافع هذه الرحلات –لم يكن بعيدا عن هذا الإشعاع الفكري والديني، والتلاقح الحضاري؛ بل كان له محل وحضور ارتبط بمحطات القراءة والإقراء.

وبذلك يظهر لنا أن الرحلات كان لها الأثر البالغ في تشكل الحضارة المغربية في كافة الفنون العلمية؛ سيما في علم القراءات القرآنية.

المطلب الثاني: معالم الشخصية القرائية لأبي سالم العياشي من خلال تكوينه العلمي.

نقف في هذا المطلب مع الجانب القرائي في شخصية العلامة أبي سالم من خلال كشف الملامح والمعالم الموضحة لهذه الصورة في شخصيته، وذلك من خلال عرض أفكار من مسار تكوينه العلمي حين يُعرف نفسه بنفسه، ولو أنها غير كافية في تحقيق المراد من البحث، وغير معبرة إلا عن التناثر الذي تعرفه المعطيات المتصلة بالجانب القرائي في شخصية هذا العلم.

---

[1] ينظر: اقتفاء **الأثر** مرجع سابق ص101

[2] يُنظر: دراسة **اقتفاء الأثر** مرجع سابق ص31

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وقد بدأ أبو سالم في مرحلة الطلب بحفظ القرآن الكريم، وتلقى أيضا علم القراءات القرآنية الذي يأتي مرحلة ثانية بعد الحفظ كما هو دأب المغاربة في تعليم القرآن منذ أمد بعيد، ونورد من الإشارات الدالة على تمكنه من علم القراءات القرآنية ما يأتي:

أولا: يحكي أبو سالم عن أخذه القراءات القرآنية عن عدد من الشيوخ خلال الرحلة إلى المشرق، ومما حكاه في هذا السياق موقفا ومشهدا وصفه في الرحلة قائلا: " **ولما قدم شيخنا أبو الحسن**[1] **المدينة ونزل بجوار المسجد، وكان قدم بأهله قاصدا للزيارة، واجتمعت به في الحرم الشريف وأنست به، وكنت إذاك حديث عهد بسكنى المدينة، ولم أخالط كثيرا من أهلها، فسألته أن أقرأ عليه ختمة القرآن العظيم بقراءة الإمام عبد الله بن كثير المكي، فأذن في ذلك، وجعل لي وقتا معلوما بين من يقرأ عليه**"[2].

يبرز لنا هذا النص حرص أبي سالم على أخذ القراءات عن الشيوخ إيمانا منه بالتلقي والرواية، وهو الحريص في مؤلفاته على التوثيق والأمانة العلمية، وعدم النقل عن المصادر إلا بعد التثبت.

كما يجلي النص أيضا مركزية القرآن الكريم في حياة أبي سالم، ومسيرة رحلاته، ورغبته في الموسوعية والنهل من كل الفنون، واستثمار أوقات إقامته بالديار الحجازية إبان الرحلة في سبيل الطلب والتحصيل.

ومن الإشارات في هذا الباب أيضا نجد قوله عن الشيخ نفسه: "**وبهذا السند أجاز لنا القراءات، ومؤلفات ابن الجزري** "[3]؛ مما يفيد أن السند القرائي عند أبي سالم العياشي حاضر بقوة من بين الأسانيد العلمية التي حصل عليها إبان الرحلات العلمية.

ومن الإشارات الأخرى في هذا الباب أيضا **روايته لكتب أخرى في علم القراءات القرآنية، ومنها: الشاطبية والعقيلة للشاطبي القاسم بن فيرُّه (ت590هـ)، وكتاب مورد الظمآن لمحمد بن محمد الخراز (ت718هـ)، وكتاب الدرر اللوامع لابن بري علي بن محمد (ت730هـ).**[4]

يشير هذا النص المقتبس من فهرسة أبي سالم اقتفاء الأثر إلى تمكنه من كتب علم القراءات، والتي أخذها عن شيوخه؛ مما يفيد أن لها الأثر الكبير في تكوينه القرائي، وإسهاماته الإقرائية التي سنشير إليها لاحقا.

ثانيا: ذكر الدكتور عبد الهادي حميتو أبا سالم العياشي من ضمن طائفة من الرواة لطرق القراءة عن أبي زيد بن القاضي(ت 1082) شيخ الجماعة بفاس، وذلك في الفصل الذي تحدث فيه عن امتدادات الطرق المتفرعة عن مدرسة ابن غازي المكناسي (ت 930)؛ حيث جعله الراوي السادس لهذه الطريق، وقال فيه: " **أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، صاحب الرحلة المعروفة ماء الموائد** "[5].

---

(1) الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الديبع، اليمني الفقيه المحدث، مؤلف " تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث "ت 1076 هـ، يُنظر: التقاط الدرر التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، محمد بن الطيب القادري تحقيق: هاشم العلوي القاسمي ط1/ 1401 هـ / 1403 هـ، ط دار الآفاق الجديدة. 167.

(2) يُنظر: الرحلة الحجازية مرجع سابق، 1 / 376

(3) يُنظر: الرحلة الحجازية مرجع سابق، 1 / 381

(4) يُنظر: نفيسة الذهبي مرجع سابق ص 84 وإحصاء الأستاذة الدكتورة للكتب التي رواها العياشي عن شيوخه في مختلف العلوم، حيث أشارت إلى الكتب مع تخصصاتها والشيوخ المروية عنهم.

(5) كتاب " قراءة الإمام نافع عند المغاربة "، مرجع سابق، 4 / 372

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يظهر لنا – مما سبق–أن عددا من الدراسات والمؤلفات التي كتبت حول الرجل أغفلت هذا الجانب المهم في تراجمه، ولم تكشف عن تكوينه القرائي وروايته لكتب القراءات؛ فالبرجوع إلى مسار الرجل وتكوينه، وما حكاه عن نفسه حين عرف بها في الفهرسة اقتفاء الأثر نجد الحضور الكبير للدرس القرائي، ورواياته للقراءات والكتب الخاصة بها عن شيوخه؛ مما يفيد بالحضور القوي للدرس القرائي في التكوين العلمي لشخصية علم البحث أبي سالم العياشي.

المطلب الثالث: أبو سالم العياشي نموذج لإسهام أعلام الرحلة في القراءات القرآنية

يروم هذا المطلب بيان جوانب إسهام أبي سالم العياشي في الدرس القرائي بالمغرب إبان عهده من زاوية دور الرحلات في التلاقح الفكري والحضاري بين المغرب والمشرق، ومعلوم أن الرحلة لها أهداف سنية، ومقاصد جليلة تحرص على بيان الدور الكبير للرحلة في سبيل طلب العلم.

ويعد أبو سالم في هذا الإطار واحدا من الأعلام الذين طبعت الرحلة حياتهم ولا يخلو منها مؤلف من مؤلفاتهم؛ إذ أسهمت هذه الرحلات في تشكل البنية المعرفية لدي أبي سالم في مختلف التخصصات، وشكلت نموذجا وجسرا يوضح الصلة والرابط بين العلوم الإسلامية زمانا ومكانا.

وهذه الوحدة والكلية التي لا تتجزأ عبرت عنها الرحلات التي مثل أبو سالم نموذجا منها؛ إذ يصعب الفصل بين هذه العلوم سواء في التأليف أو العرض والتدريس، وهي وحدة وتلاقح عبرت عنه هذه الرحلات التي جمعت بين أطراف العال الإسلامي شرقا وغربا.

وبالنظر إلى مراحل تشكل الشخصية العلمية لدى أبي سالم العياشي يمكن القول إن هذا التنوع والتلاقح الفكري والحضاري بين المشرق والمغرب قد جسدته رحلات أبي سالم العياشي من خلال تعدد جنسيات شيوخه؛ حيث نجده يذكر في فهرسته اقتفاء الأثر ترتيبا يحقق هذا المعطى؛ فيرتب شيوخه وما روى عنهم حسب المناطق فيذكر الذين روى عنهم بمصر والذين روى عنهم بالحجاز، وبذلك تشكل لنا هذه الرحلات العلمية لهؤلاء العلماء نموذجا للتواصل تطورت من خلاله مجموعة من العلوم ومنها علم القراءات القرآنية.[1]

المبحث الثاني: رصد إسهامات أبي سالم العياشي في الدرس القرائي إبان القرن الحادي عشر للهجرة

يعد هذا المبحث الثاني من البحث الزاوية الأشد عمقا في مقاربة الموضوع؛ لما سيعرضه من معطيات متصلة بجوانب إسهامات أبي سالم في بناء الدرس القرائي في عهده، باعتبار ذلك الثمرة من البحث؛ والتي تجلي لنا الإسهامات القرائية للرجل، وبيان قدرها في سيرته ومساره، ونقف الآن مع هذه المعطيات حسب المطالب الآتية:

المطلب الأول: إسهامات أبي سالم العياشي في الدرس القرائي من خلال محطات رحلاته

بالرجوع إلى محطات رحلات أبي سالم العياشي نجدها تضمنت عددا من الإسهامات في الدرس القرائي بالمغرب إبان الفترة التي عاش فيها أبو سالم العياشي؛ فالرحلة نموذج للسعي الدؤوب في طلب العلم والتحصيل، ولا شك أن البداءة تكون دوما بالقرآن الكريم والعلوم المتصلة به، ومنها العلم بالقراءات القرآنية.

[1] ينظر فهرسته اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، ص 119 وما بعدها.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وتذكر المصادر في هذا السياق أن العلامة أبا سالم العياشي كان وافر الحظ من خلال النيل من المعرفة القرآنية للإمام السيوطي، والذي يصفه مرارا بشيخ شيوخه؛ يذكر في اقتفاء الأثر حين مقامه بمصر لطلب العلم:" أن الأجهوري شيخه أجاز له كل مروياته عن السيوطي جلال الدين (ت 911هـ) "[1]

وحين حديثه عن أهل مصر وعلمائها يصف الشيخ السابع من مشايخه قائلا" السابع الشيخ الإمام المعقولي البياني المقرئ...وكان شيخنا سيدي أبو بكر بن يوسف السكتاني يفضله على شيخ الإقراء بمصر الشيخ سلطان"[2].

تظهر لنا هذه النماذج والمعطيات أن الدرس القرائي لم يغب عن أبي سالم العياشي ولو هو مفارق لجلماسة بلده الأصلي، حيث يحضر الدرس القرآني كمعطى من المعطيات التي ذكرها في رحلاته، وما وثقه خلالها من مشاهد علمية بما فيها المشاهد والأوصاف المتصلة بالدرس القرائي

المطلب الثاني: إسهامات أبي سالم العياشي في الدرس الإقرائي

عرف عن أبي سالم ولعه بالتدريس، خاصة وأنه سليل زاوية صوفية عرفت بالعلم والتربية الصوفية، ولا يمكن أن يغيب الدرس القرآني عن أبي سالم في هذا التدريس.

وشكلت في هذا الإطار المرويات التي رواها عن الشيوخ في درب القراءة القرآنية المادة الأساس في التدريس، يتحدث أبو سالم العياشي عن رواية فهرسة الإمام السيوطي بسنده المسماة زاد المسير، كما وصف تصانيف الكتب القرائية التي رواها قال: " الشاطبية والعقيلة"[3]، وقال أيضا في فهرسة اقتفاء الأثر:" بالسند المتقدم إلى السيوطي، عن الفخر بن محمد الأسيوطي عن أبي إسحاق التنوخي عن بدر الدين بن جماعة عن هبة الله بن الأزرق عن الشاطبي"[4]."**وجعل لي وقتا معلوما بين من يقرأ عليه، وكان محققا لقراءة السبع، مجيدا لها، حسن التلاوة، ما سمعت أذني في أقطار الأرض كلها – على كثرة ما سمعت– أحسن منه تلاوة** [(5)].

يبرز لنا هذا النص مكانة علم القراءات نظريا وممارسة واخذا عن الشيوخ في حياة أبي سالم العياشي، وارتباطه بالرحلة الحجازية التي اشتهر بها في مساره وتكوينه العلمي؛ فقد وصف براعة شيخه في الأداء، وحسن تلاوته، والقراءة التي أخذ عنه، ويعبر لنا ههنا قوله في النص" **على كثرة ما سمعت**" على المنزلة التي يحتلها الدرس القرائي في حياته، وشغله العلمي، وحرصه على الإقراء، وتصحيح التلاوة.

وقد " تصدر أبو سالم لتدريس القراءات في المغرب وفي المشرق، وفي زاويته وفي مختلف الزوايا والمراكز التعليمية التي قصدها وطالت إقامته في بعضها"[6]؛ ففي فاس والزاوية والمراكز التي زارها كان أبو سالم حريصا على الدرس القرائي لإفادة غيره، ومما امتاز به أنه كان يدرس كل ما تلقاه عن الشيوخ من منطلق الأمانة العلمية، وواجب التبليغ، وكان لا يتكلم إلا فيما يتقن من العلوم ممتثلا قوله تعالى: " **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)**" سورة الإسراء

---

[1] ينظر فهرسته اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، ص 119 وما بعدها.

[2] ينظر: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، ص 131.

[3] ينظر اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ص 189.

[4] ينظر اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ص 189.

[(5)] يُنظر: الرحلة الحجازية مرجع سابق، 1 / 376

[6] اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، الدراسة، ص 52.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المطلب الثالث: استثمار آثار أبي سالم العياشي في الدرس القرائي المعاصر ومناهج التكوين والتدريس للقراءات القرآنية والدراسات المتصلة بها

يقودنا الاستقراء والنظر في جهود أبي سالم العلمية عامة والقرائية خاصة إلى أنه قد أسهم من خلالها في الخطاب التربوي التعليمي إبان عهده، وشارك في صياغة منهاج تربوي منطلق من العلوم الإسلامية نفسها؛ فمن أبرز معالم هذا المنهج المتصلة بهذا الموضوع نجد:

- عمق التكوين العلمي والعرفي في الدرس القرائي وذلك قبل ممارسة عملية التعليم لما في ذلك من أمانة ومسؤولية الكلمة القرآنية.
- تعدد مراكز التكوين العلمي التي درس فيها أبو سالم؛ مما جعله يكون مسهما في التدريس ببلدته والزوايا التي زارها وخلال رحلاته المتعددة.
- الرصيد المكتبي ودور المكتبة الكبير الذي لعبته في حياة أبي سالم العياشي؛ بل لقد أسهم هو وأسرته في تكوينها لما عرف به أبو سالم من حب للكتابة والكتاب.
- ويحسن بنا أن نقف وقفة لاستخلاص هذه الآثار الحسان، وتوظيفها في الدرس القرائي المعاصر من خلال الدعوة إلى:
- الحرص على عمق التكوين المعرفي في الدرس القرائي؛ لما في ذلك من فائدة تعود بالنفع في حال الأخذ أو حال التدريس والعطاء.
- الإسهام في تنويع فضاءات التعليم القرآني، وتعدد الأنشطة والطرائق المرتبطة بالتدريس القرائي مع الحفاظ على طابع الرواية والتلقي.
- العناية بالرصيد المكتبي في هذا الباب، ودعمه بموارد رقمية معينة في العرض والتدريس.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الخاتمة:

يظهر من خلال ما سبق الارتباط الكبير بين الرحلات العلمية للمغاربة والدرس القرائي من خلال نموذج البحث العلامة الرحالة الراوية أبي سالم العياشي؛ ذلك أن القرءان الكريم باعتباره مصدر العلوم في الإسلام، ومنطلق الدرس والتعليم في كل التخصصات يؤثر بشكل أو بآخر في فكر العالم، ويدفعه إلى العناية به تحملا وأداء، مما يفيد بأن الرجل كانت له قدم سبق وإسهام في الدرس القرائي بالمغرب في زمانه، وخبرة بطرقه ومكوناته، وطرق تدريسه، وهو ما أبانت عنه المعطيات السابقة المتوصل إليها، وحسب هذه الدراسة أنها أثارت الانتباه إلى جانب مغمور في حياة علم البحث من خلال تأكيدها على:

- **ضرورة الوقوف عند تأثير الرحلة في الفكر والإنتاج الفكري والتلاقح الحضاري، وأثر ذلك في علوم القرآن؛ سيما الدرس القرائي.**
- **تعدد المعطيات المرتبطة بالدرس القرائي عند أبي سالم العياشي، لكن يطبعها التناثر وفي حاجة إلى الضم وهو ما حققه البحث.**
- **الدور الكبير الذي تلعبه الرحلة في اهتمام العالم بكل التخصصات سيما المتصلة بالقرآن الكريم.**
- **أهمية الإسهامات الجمة للعلامة أبي سالم في الدرس القرائي بالمغرب إبان عهده.**
- **تنوع صور وأشكال هذه الإسهامات القرائية للعلامة الراوية أبي سالم العياشي بين التدريس والإجازة والتأليف والنوازل.**
- **إسهام أبي سالم العياشي بهذه الجهود القرائية في الخطاب التربوي التعليمي في تلك الفترة، والمتصل بتدريس العلوم القرآنية.**

وتأسيسا على ذلك يفسح هذا الموضوع الآفاق الآتية:

- **العناية بالرسائل المخطوطة التي تبرز دور أبي سالم العياشي في الدرس القرائي في عصره.**
- **اعتماد المعطيات المتصلة بالتدريس والخطاب التربوي القرآني في عهد أبي سالم في المناهج الدراسية القرآنية حاليا؛ لما قد تقدمه من حل لعدد من الإشكالات.**
- **إعادة النظر في التراجم المقدمة لهذا الرجل لما فيها من إجحاف في حقه في باب الإسهامات القرائية.**

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم، المصحف المحمدي برواية ورش عن نافع.**
- أبو سالم المتصوف الأديب عبد الله بناصر العلوي نشر وزارة الأوقاف المغرب 1998 م
- إتحاف الأخلاء بأسانيد المشايخ الأجلاء لأبي سالم تقديم وتحقيق محمد الزاهي دار الغرب الاسلامي 1999 م
- إظهار المنة على المبشرين بالجنة: تأليف أبي سالم العياشي، تحقيق ودراسة خليل محاح، منشورات المجلس العلمي الأعلى، المجالس العلمية لجهة الدار البيضاء سطات عام 2024م.
- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر تأليف أبي سالم العياشي، تحقيق نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط المغرب ط 1/ 1996 م.
- تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية تحقيق د محمد بنعزوز دار ابن حزم ط 1 2011 م
- الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف في تكفير من اقر بوحدانية الله وجهل بعض ما له من الأوصاف تأليف أبي سالم العياشي نشر الأوقاف المغربية 2015م.
- حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، تأليف عبد الهادي بن عبد الله حميتو، منشورات الأوقاف المغربية، ط 1 عام 2006م.
- الرحلة العياشية لابي سالم تحقيق فؤاد المزيدي ط 1 دار الكتب العلمية بيروت 2011 م
- شجرة النور الزكية لمخلوف محمد دار الكتاب العربي بيروت ط 1 سنة 1349 هـ
- صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر، للصغير الإفراني ط دار الرشاد الحديثة المغرب
- عبد الهادي بن عبد الله حميتو: قراءة الإمام نافع عند المغاربة، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، ما بين 2003م و2007م.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي، للحجوي الثعالبي، نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط 1 . 1396 هـ
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني تحقيق إحسان عباس ط دار الغرب الاسلامي 2
- الفهرس الوصفي لمخطوطات الزاوية الحمزية حميد لحمر منشورات الأوقاف المغربية 2009م.
- لطيفة الوردي: جهود علماء المغرب في تقديم العقيدة إلى عموم المكلفين، منشورات دار الثقافة، المغرب الدار البيضاء، ط 1، 2023م.
- مجلة معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، عدد 1 دجنبر، 2021م.
- معجم شيوخ الحافظ أبي عمرو الداني إمام القراء بالمغرب والأندلس، تأليف عبد الهادي حميتو، منشورات الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية فرع آسفي، ط 1 عام 2000م.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/